في أيام غسان مع الأحاليف
في
الشعر الجاهلي

للدكتور نصرت عبدالرحمن
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حارثان من غسان يَرِدان في الشعر الجاهلي، ويَرِدُ أحدُهما متّصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجليَ أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيربدُ الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطاراً زمانياً محدَّداً، على الرغم من تفلُّت الأدب من التحديد الزمنيّ.

والحوارث من غسان عند اليعقوبيّ ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن أبي شَمِر بن الأيهم[1]؛ وهم خمسة عند أبي الفِداء[2] والأصبهاني[3]: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيهَم، والحارث بن حُجْر، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن الأنباريّ[4] وابن الكلبيّ[5]: الحارث الجَفْني، والحارث الأعرج، والحارث

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢-٧٣.
(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص٩٨-١٠٤.
(٤) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص٧٧٤.
(٥) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟) ٢: ٣٦٤-٣٦٧.

الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضّل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة بن المنذر، والحارث بن أبي شَمِر عند ابن الكلبيّ. وهم ثلاثة عند ابن حبيب[١] والمسعوديّ[٢] وابن خلدون[٣] وابن سعيد[٤] والجاحظ[٥]: الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن أبي شَمِر عند المَسْعودي، والحارث بن ثَعْلَبة، الحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيْهَم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس نُولدكه "معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجده في المورد البيزنطية"[٦]، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جَبَلَة الذي شَغَل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر،

---

(١) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحبّر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص٣٧٢.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص٢: ١٠٧.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.

(٤) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠-٢٠٨.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص١١٠-١١١.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

وكانا – عند نولدكه- بين سنتي ٥٨٣م و٦١٤م[١]. وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شَمِر، فهو الحارث بن جَبَلَة "أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأناً"[٢]، وهو الذي "احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شَمِر مما يدلّ على أن أباه كان يكنّى بأبي شَمِر"[٣]، وهو الذي "حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨م"[٤]، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: "إن الإمبراطور بوستنيان رَقَّى الحارث بن جَبَلَة إلى رتبة ملك، وبَسَطَ سُلْطته فوق قبائل عربية، وأن غرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس"[٥]. وهو صاحب يوم حليمة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حيران سنة ٥٥٤م[٦].

---

(١) نولدكه، ثيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص٥٧.

(٢) نفسه، ص٩.

(٣) نفسه، ص٢٢.

(٤) نفسه، ص١٠.

(٥) أمراء غسان ص١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص١٩-٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hart, Cl., Historie des Arabes, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1,PP. 60-62.

O'Leary, Arabia Before Mohammad, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165.

Hitti, Philip, History of Syria (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402- 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شَمِر سابقاً الحارث بن جَبَلَة، ولم يتحدّث أوليري وفيليب حتّي عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شَمِر.

فنولدكه قد جلا أمر الحارث بن أبي شَمِر، ولكنه لم يَجْلُ أمر الحارث الأعرج، أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر[١]، ورجّح أن يكون توليّه الإمارة بين سنتي ٥٨٣م و٦١٤م[٢].

وأولُ ما يَشْغَب على نُولدكه من الشعر الجاهلي قولُ عبَيد بن الأبرص الأسدي[٣]

نَحْنُ قُدنا من أهاضِيب المَلا الـ ... خَيْلَ في الأرْسانِ أمثالَ السَّعالي[٤]
شـزَّبا يَغْشَـيْنَ مـن مَجْهُولَـةِ الـ ... أرْضِ وَعْثـاً مـن سُـهولٍ وجِبـالِ[٥]
فانْتَجَعْنـا الحـارثَ الأعـرجَ فـي ... جَحْفَـلٍ كالليـلِ خَطَّـارِ العَوالـي[٦]

فإذا كان عبيج بن الأبرص قد قتله المُنْذر بن ماء السّماء في قصة مشهورة، وإذا كان المُنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شَمِر، بل هو قتيل الحارث في يوم حليمة في حزيران لسنة ٥٥٤م، فهذا يعني أن عبيداً قُتل قبل سنة ٥٥٤م وهي السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي شَمِر بن ماء السماء.

* * *

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدّث عن انتجاع الحارث الأعرج. فأنى يستقيم أن يتأخر الحارث الأعرج إلى ما بعد سنة ٥٨٣م؟

---

(١) أمراء غسان، ص٢٤.

(٢) نفسه، ص٥٧.

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص١١٦.

(٤) المَلا: الصّحراء. والسَّعالي: جمع السِّعْلاة، وهي أُنثى الغُول.

(٥) الشُّزَّب: جمع الشَّازِب، وهو الشامِرُ اليابس. ويَغْشَيْن: يَدْخُلن. والوَعْث: الأرض التي تَغيبُ فيها القوائمُ فيعْسُرُ السّيرُ عليها.

(٦) الجَحْفل: الجيش العظيم. والخَطّار: الطويل الذي يَضْرب لطوله. والعوالي: جمع العالية، وهي أعلى الرمح.

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جَبَلَة، فالأسماء الثلاثة لمُسَمّى واحد. وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه[١] وابن الأثير[٢] من القدماء، ونبيه عاقل[٣] من المحدثين.

وثاني ما يَشْغَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتِم الطائيّ ذكر فيه صراحة اسم الحارث بن عمرو، فقال[٤]:

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي حافظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّواب

وذكر اسم أمه، وذكر أن حارثين نُمَياه، فقال[٥]:

نَمَتْهُ أُمامَةُ والحارثا نِ حتى تمهَّلَ سَبْقاً جديدا

وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير.

ولا بدّ من التماس العُذْر لنولدكه، فهذا اسم لا يَرِد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان التي صنعها المؤرخون، إلا في قائمة (هوار) Huart إذا جاز أن أسمّيَها قائمة – حيث جعل أبا شَمِر الحارثَ بن عمرو أولَ أمراء غسان في الشام، وأنه عاش زمن الإمبراطور البيزنطيّ أنا ستازيوس (٤٩١–٥١٨م)[٦]. ومُحالٌ أن يكون حاتم أدركَ ذلك الزمن.

---

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥)، ٢: ٥٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٥٤٧.

(٣) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥)، ص١٥٩.

(٤) ديوان شعر حاتم الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟)، ص١٩٤.

(٥) نفسه، ص٢٠٧.

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p. 60.

(٢)
الأحاليف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثُر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجمات ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وجُمَح وسَهْم ومَخْزوم وعَدِيّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله[١]:

تداركْتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عَرْشُها وذيبانَ قد زلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ

وقوله[٢]:

ألا أبلِغِ الأحلاف عني رِسالةً وذيبانَ هل أقْسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ[٣]

وقال: "ويقال ابني أسدَ وطيئ الحليفان، ويقال أيضاً لفَزارة ولأسَد حليفان؛ لأن خُزاعة لما أجْلَت بني أسَد عن الحَرَم، خرجت فحالفَتْ طيّئاً، ثم حالفت بني فَزارة"[٤].

وقال أبو عُبيدة في خبر يوم النِّسار: "تحالفَتْ أسد وطَيئ وغَطَفان، ولَحِقت بهم ضَبَّة وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً"[٥].

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤)، ص١٠٩.

(٢) نفسه، ص١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣: ٣٧٥.

ومن خبر يوم النّسار أيضاً ما ذكره الشّمشاطيّ، قال: "وهو يوم لبني أَسَد وغَطَفان وطيّيء، وهم الأحاليف على بني عامر... وكان سبب يوم النِّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عُمومتهم بني ضبَّة وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطاً من بني تميم، فطَلَبَتْهم تميم، فلحِقت الرِّباب ببني أسد ابن خُزَيْمة، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغيض ابن غَطَفان، وحُلفاؤهم أيضاً بنو وطيئ. ورئيس ذُبيان حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر، ورئيس بني أسدَ عَوْف بن عبدالله بن عامر بن جَذِيمة بن نَصْر بن قُعَيْن، ويقال خالد بن نَضْلة الأسدي، ورئيس الرِّباب يوم النِّسار الأسود بن المنذر أخو النعمان. وحدَّث قيس بن غالب أن رئيس الرِّباب وجماعة الأحاليف يوم النِّسار حِصْن بن حُذَيْفة، وأنشد في تَصْداق ذلك قول زُهير[1]:

ومِنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الحروف ومِثْلُهُ ... لانْكارِ ضَيْمٍ أو لأمْرٍ يُحاوِلُهْ
إذا حَلَّ أحياءُ الأحاليفِ حَوْلَهُ ... بذي لَجَبٍ هدّاتُهُ وصوَاهِلُهْ[2]

* * *

فالأحاليف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أسد وذُبيان وطيئ وضبَّة، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملتها لوازم البحث، وإنما هي تسمية لزمت تلك القبائل حتى بَدَت كالعلم عليها.

وديار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسَلى (شَمَّر اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية.

---

(١) انظر الديوان، ص١٤٣-١٤٤.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص١٤١-١٤٢.

لم تكن ديار غسان – على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها – مُصاقبة لديار الأحاليف فبينهما سيرُ تسعُ ليال للعاجلِ المُنْتاب، كما يقول حاتِم الطائيّ[١].

ولكن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، والإيقاع بالقبائل النجديّة كطيّئ وأسد وذبيان وتميم وضبّة، وبلغ مُغارها كِنانة، "فقلّما وقفت غسّان للرشد"[٢] كما يقول عبيد بن الأبرص.

أما أن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحاليف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليفات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة، ولا نكاد نستثني منهنّ غير عُذْرة – وبني حُنّ منها خاصة – الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدَّى من شعر النابغة الذبياني[٣]. وأما كَلْب وقُضاعة وَبلِيّ وسَلِيح فكنّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تلقاها غسان، حتى إن الأخنس ابن شِهاب التغلبي قد جعل عز غسان في سواها، فقال[٤]:

وغِسانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِواهُمُ يُقاتِلُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وكَتائبُ[٥]

---

(١) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٤.

(٢) انظر الديوان، ص٦٠.

(٣) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٩٨.

(٤) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

لابنةِ حِطَّانَ بنِ عَوْفٍ منازلُ كما رقَّشَ العُنْوانَ في الرَّقِّ كاتبُ

انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦)، ص٢٠٥.

(٥) المِقْنَب: الجماعة من الخيل.

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني[1]، وقد حمّل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجَفْنيّ أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جِذْم غسان[2].

ويمكننا أيضاً أن نتبيّن ذاك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صوّر فيها غارة لعمرو بن الحارث الأصغر على فَزَارة – وهي من ذُبيان– فساق عمرو الرُّفَيْدات وهم "بطن من كَلْبٌ[3] من جَوْش ومن عِظَم، وأدخل في حملته سُلاقاً وأنفاراً من رهط رِبعيّ وحَجّار القُضاعِيّيْن[4].

ولا بدّ لي من الإشارة إلى أن جلّ الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور[5].

(٣)

بين غسان وأسد

أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدّث عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٢.

(٢) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة رفيدة.

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٧٧.

(٥) من شعر غسان المنزور شعر الشيظم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص١٧٩.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره صراحة "فانْتَجَعْنا الحارث الأعرج"[١]، فلا مجال بعدُ لتخمين أو ظنّ.

ويصوّر الشاعران – عبيد وعمرو – انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار والقُرات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب[٢]، والأصبهاني[٣]): حيث خرجت أسد في جَحْفل جرّار "خَطّار العَوالي"[٤] "قَسْطَلُهُ ذائلُ"[٥] كما قال عبيد، أو في جَحْفَل كالليل البهيم، كثير العدد وافره، والخيل الجرد تعدو في أعنّتها كأنها القطا الواردات، وهي تلوك اللُّجُمُ، وتباري الرّكْب في عِناد.

قال[٦]:

بِجَحْفَلٍ كبهيم اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ ... أرضَ العَدُوّ لُهامٍ وافرِ العَدَدِ[٧]

القائدُ الخَيْلَ تَرْدِي في أعنّتِها ... وِرْدَ القطا هجّرَتْ ظِمْئاً إلى الثَّمَدِ[٨]

من كُلِّ عِجْلِزَةٍ بادٍ نَواجِذُها ... على اللِّجامِ تُباري الرَّكْبَ في عَنَدِ[٩]

---

(١) الديوان، ص١١٦.

(٢) المحبر، ص٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي، انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٣) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص١١٧.

(٥) نفسه، ص٩٩. والقَسْطل: الغُبار في المعركة. والذائل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٦) نفسه ص٥٩.

(٧) اللُّهام: العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٨) تَرْدِي: ترجُم الأرض بحوافرها في عَدْوِها. وهجّرت: طارت في الهاجرة إذ يشتدّ الحرّ. والثَّمَد: الماء القليل.

(٩) العِجْلِزَة (بكسر اللام وفتحها): الفرس الشديدة. والنَّواجذ: أقصى الأضراس. والعَنَدَ: المُعاندة.

وكـلٌ أجـرَدَ قـد مالَـتْ زِحالَتُـهُ نَهْـدِ المراكـلِ فَعْـمٍ نـاتئِ الكَتَـدِ[1]

وهو جَحْفل يضمّ فتياناً تَحْتَزّ سيوفهم الأعناق، وفيهم كلّ فتى كريم جواد، غير قعيدِ زاد، ولا أوْجل ضعيف، ولا أشَلّ يبيس الأنامل.

قال عمر بن شأس:[2]

بأيـديهُمُ هِنْديّـةٌ تَخْتلـي الطُّلَـى كما فَضَّ جاني حَنْظَلٍ نَضْرَ حَنْظَلِ[3]
بكـلِّ فتـى يَعْصَـى بكـلِّ مُهَنَّـدٍ نَـدٍ غيـرِ مِبْطـانِ العَشـيّاتِ عَنْجـلِ[4]
كَعِجْـلِ الهِجـانِ الأدْمِ لـيس برُمَّـحٍ ولا شَـنِجٍ كَـزِّ الأنامِـلِ زُمَّـلِ[5]

وقد قُتل يوم القُرات (عَديّ) دون مشقة أو عناء، وقُتل (قُرص) يوم المُرار حين حصرته الخيل من يمين ويسار.

قال عمرة بن شأس:[6]

---

(١) الزّحالة: السّرج. والنَّهْد: العالي المرتفع. والمرَاكل: مَع المَرْكَل، وهو الموضع من الحصان حيث يَهْمزه الراكب. ونَهْدُ المراكل: كنابة عن علوّ الجواد وإشرافه. والفَعْم: الممتلئ، وقد خص الفيروز آبادي الفُعْم بامتلاء الذراعين (القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ – مادة فعم). والكتد: موضع اجتماع الكتفين.

(٢) شعر عمرو بن شأس (صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٦)، ص٥٨.

(٣) تَخْتَلي: تقطع. والطُّلَى: جمع طُلْيَة (بضم الطاء) أو طلاة وهي العنق.

(٤) نَدٍ: كثير العطاء. والعَنْجَل: العظيم البَطْن.

(٥) الرُّمَّح: الفقير المحتاج. والزُّمَّل: الضعيف الجبان.

(٦) الجَزْع في الوادي: منعطفه أو منحناه. ومن الأرض المُشْرف منها إلى جَنبه طمأنينة. والحَرْمَل: نَبْت سهل الكسر له حبّ أسود كالخَرْدَل.

ونحـــن قَتَلْنـــا بالقُـــراتِ وجَزْعِـــهِ عَدِّياً ولم يُكْسَرْ به عُودُ حَرْمَلِ[1]

وقال عُبيدة (أحد بني سَعْد بن ثَعْلَبة):

أليســـوا فَـــوارسَ يَـــوْمَ القُـــرا تِ والخَيْـــلُ بـــالقَوْمِ السَّـــعالي

وقال عبيد بن الأبرص:[2]

ثـــم غادَرْنـــا عَـــدِيّاً بالقنـــا الـــذبلِ السُّـــمر صَـــريعاً فـــي المَجـــالِ[3]
ثـــم عُجْنـــاهُنَّ خُوصـــاً كالقَطـــا القـــارب المـــاءَ مـــن أيـــنِ الكَـــلالِ[4]
نَحْـــوَ قُـــرْص يـــومَ جالـــت حولَـــهُ الخيـــل قُبّـــا عـــن يَمـــينٍ وشِـــمالِ[5]

وقال عبيد أيضاً وقد عدّد مآثر أسد:[6]

ونَحْـــنُ قَتَلْنـــا مُـــرَّةَ الخَـــيْرِ مِنْكُـــمُ وقُرْصـــاً قتلْنـــا كـــانَ مِمَّـــنْ أولئكـــا

وقال بعد حديثه عن خيل الغارة[7]:

---

(١) معجم البلدان، مادة قُرات.
وقد جعل ياقوت عُبيدة أحد بني قيس بن ثَعْلَبة. وقيس ثعلبة من بكر، ولا علاقة لها بالقُرات.
(٢) الديوان، ص١١٧.
(٣) القنا الذُّبَّل: أنابيب الرماح الدِّقاق. والعرب تسمّي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه. فالقناة أنبوب الرّمح، وهي الرمح كله.
(٤) الخُوْص: الغائرات العيون. والأيْن والكَلال: التعب.
(٥) الخيل القُبُّ: الضوامر.
(٦) الديوان، ص٩٤.
(٧) نفسه، ص٦٠.

حتـــى تعـــاطَيْنَ غسّـــاناً فَحَـــرْبُهُمُ يومَ المُرارِ ولم يُلووا على أحَدِ[1]
لمـــا رأوْكَ وبلـــج البـــيض بيـــنَهُم وكـلّ مطَّـرِدِ الأُنبـوبِ كالمَسَـدِ[2]
غَـوَّتْ بنـــو أسَـــدٍ غسّـــانَ أمـــرَهُمُ وقلّمـــا وَقَفَـــتْ غسّـــانُ للرَّشَـــدِ

ولـيس فـي ديـوان عبيـد مـا يكشـف حقيقـة ضـمير المخاطـب فـي (رأوك)، فالقصيدة في المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهـر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرة بن شأس قائد أسد في ذينك اليومين، فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في غَمْرة الجماعة، وهذه مَزيَّة تُحْفَظ لشعراء أسد.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلّمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن حبيب[3]، والأصبهاني[4]، وياقوت[5]، أن قائد أسد يوم القُرات هو رَبيعةُ بن حُذار الأسديّ. وقد سَلَكَ ابن حبيب ربيعة في سِمْط القادة الجرارين، وهم الذين قادوا ألف رجل[6].

ويخيّل إليّ أن ربيعة نال هذا الصفة بهذا الجَحفَل الذي قاده لقتال غسان، فقد رأينا أن شاعرَيْ أسد قد صوّراه جيشاً لُهاماً وافرَ العدد.

---

(١) لم يُلووا على أحد: لم يَعوُجوا على أحد استعانةً به.

(٢) مطَّرِد الأنبوب: طويلُ القناة طولاً مُعْتدلاً مُقَوَّماً.

(٣) المحبّر، ص٢٤٧.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

(٦) المحبّر، ص٢٤٦.

وإذا صحّ هذا، يكون رَبيعةُ قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجْر بن الحارث ابن عمرو المَقْصور بن حُجْر آكل المُرار الكِنْديّ، أبي امرئ القيس، الذي مُلّك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القُرات والمُرار.

ويَلْفِتُ في وصف عمرو بن شأس ليوم القُرات أنه جعلَ غسان غازِيةً، وجعل أسداً مدافعة أهلَ منزل، حيث قال[1]:

فلـم أرَ حَيَّـاً مِثْلَهُـمْ حـينَ أقبلـوا ولـم أرَ حَيَّـاً مثلنَـا أهـلَ مَنْـزِلِ

فهل القُرات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعل أسداً غازية، وجعل غسان مُدافعة: فقد جاء في شعره "نحن قُدْنا من أهاضيبِ المَلا"[2] و "انتَجَعْنا الحارث الأعرج"[3]، "ثم غادرنا عَدِيّا بالقنا"[4] فهل القراتُ خارج ديار أسد؟

فالقرات من ديار أسد عند عمرو بن شأس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المناطقة؟

يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة، فإذا جاز لي أن أرجّح أقول: القُرات خارج ديار أسد، استئناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرات وادٍ بينَ تهامةَ والشام"[5]، وديار أسد لم تبلغ تِهامة، إذا اعتمدتُ على تحديد (لِيال) لتلك الديار.

---

(١) شعره، ص٥٧.

(٢) الديوان، ص١١٦.

(٣) نفسه، ص١١٧.

(٤) نفسه، ص١١٧.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

قال لِيال: "وكانت حدودُ أرض أسد تمتدّ جنوبي تَيْماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال إلى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من مَعان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحدّ الغربي من أجأ وسَلْمى جبل طيّئ. وكانت أسد أقصى قبائل مَعَدّ شمالاً، على الطريق من الجنوب إلى فِلسْطين وسوريّة، وراءها قبائل عُذْرة، وجُذام، وبَلِيّ اليمنية، على الطريق التجاري، وإلى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كَلْب، اليمنية الأصل أيضاً، في المنخفضات المسمّاة الآن بوادي السَّرحان والجَوْف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية – النُّفود الآن"[1].

ولا بدّ لي من أن أستذكر أن يَوْمَيْ القُرات ومُرار حدثا في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شَهد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شَمِر الأعرج، وقتلَهُ المنذر بن ماء السماء اللَّخْمي، الذي قُتِل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمرو بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥هـ/ ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً[2]. فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخاً كبيراً يَدْلِف في التسعين. وما في التسعين مُنّة على جهاد، أو اصطبار عليه.[3]

القُرات والمُرار في شعر النابغة الذبياني

---

(١) ترجم حسين نصار مقدمة ليال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٣–١٤ (المقدمة).

(٢) انظر شعره، ص٨٦–٨٧.

(٣) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص١٧–١٨.

قال الطُّوْسيّ: "حين قَتَلَتْ بنو عَبْس نَضْلَة الأسديّ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْنَة[1] عَوْن بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان[2]، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها[3]:

غَشِـــيتُ منـــازلا بِعُرَيْتنـــاتٍ فأعلـى الجَـزْعِ للحـيِّ المُـبِنِّ[4]

وذكر أسداً فقال:

إذا حاوَلْـتَ فـي أسَـدٍ فُجُـورا فـإني لسـتُ مِنْـك ولسـتَ منّـي
شَـهِدتُ لهـم مَـواطِنَ صـادقاتٍ أتَيْـتُهُمُ بـودِّ الصَّـدْرِ منّـي
وَهُـمْ سـاروا لِحُجْـرٍ فـي خَمـيسٍ وكـانوا يـومَ ذلـكَ عنـدَ ظَنّـي[5]
وهُـمْ زحَفُـوا لغسـانٍ بزَحْـفٍ رَحيـبِ السَّـرْبِ أرعَـنَ مُـرْجَحِنٍّ[6]
بكـلِّ مُجـرّبٍ كاللَّيـثِ يَسْـمو علـى أوصـالِ ذيّـالٍ رفَـنٍّ[7]

---

(١) عُيَيْنَة: هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزاري. وكان أبوه حِصْن سيد فَزارة في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب حِصْن يوم بني عُقَيْل من عامر. ولحِصْن قصيدة ينصح فيها لفَزارة أن يُوَلّوا عُيَيْنَة بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،
وقد أدرك عُيَيْنة الإسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحمق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٢٥.

(٣) نفسه، ص١٢٥.

(٤) الحيّ المُبِنّ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجْر: حُجْر بن الحارث الكِنْدي أبو امرئ القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرته. والمُرْجَحِنّ: الثقيل.

(٧) الرِّفَنُ: الذيّال والمتبختر في بَطَر.

وضُـــمْرٍ كالقِـــداحِ مُسَـــوَّماتٍ عليهـــا مَعْشَـــرٌ أشـــباهُ جِـــنٍّ[1]

فها هو ذا جَحْفل أسد زاحفاً لغسان، فهو المغُير وغسان مُغارٌ عليها. وهذا يتّفق مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعنُ ثقيل، ورجاله كاللُّيوث مجرّبون غير أغرار، يُشْبِهون الجِنّ. والجياد ذيّالة ضوامر، ضمور القِدْح الصَّلِيب.

عَدِيّ وقُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطّلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبيين حقيقة عَدِيّ وقُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم القُرات، والإشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية[2].

وفي كلا الرجلين – إذا كان قُرص رجلاً وليس جبلاً – كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيّاً هو عديّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر"[3]. وفي شرح ديوان حسان "هو عديّ ابن أخت الغسانيّ. وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه"[4]. وفي الأغاني "أغار ملك من ملوك غسان يقال له عديّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر الغساني على بني أسد، فلقيته بنو سعد ابن ثعلبة ... فقتلت بنو سعد عدياً ... فقالت فاختة بنت عدي:

---

(١) المَسوَّمات: المُعْلَمات اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣: ٤٣٦.

(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص٣٢٦.

(٤) الديوان (تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟)، ص٢١٩.
والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

لعمـرك مـا خشـيت علـى عـدي رمـاح بنـي مقيّـدة الحمـار
ولكنـي خشـيت علـى عـدي رمـاح الجـنّ أو ايـاك حـار

تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيـل مـا قتيـل ابنـي حـذار بعيـد الهـمّ طـلاع النجـار[1]

ففاختة لم تَخْش على عديّ رماحَ أهلِ الحَرّة[2] وهي تُقيّد حمار الوحش فلا تدَعُهُ يسير من شدّة وعورتها – ولكنها تخشى عليه من الطاعون – وهو في نظر الجاهليين من وَخْز رماح الجنّ – أو تخشى عليه من الحارث نفسه.

وتَشْغَب على هذه الرواية للبيتين رواية أخرى لثعلب، ليس فيها اسم عَدِيّ، وإنما فيها اسم (أُبيّ)، فقد روى ثَعْلب البيتين:

لعمُـرك مـا خَشِـيتُ علـى أُبَـيٍّ رمـاحَ بنـي مُقَيّـدةِ الحِمـارِ
ولكنّـي خَشِـيتُ علـى أُبَـيّ رِمـاحَ الجـنِّ أو إيـاكَ حـارِ[3]

وتوافق رواية الثعالبي[4] رواية الأغاني، ويوافق الثيلي[5] ثعلباً، وأخذ بالروايتين

(١) الأغاني، ١١: ١٨٩-١٩٠.
(٢) مقيدة الحمار في الأغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قاتلي عدي.
(٣) ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب (تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠)، ٢: ٢٧٤.
(٤) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨)، ص٥٣.
(٥) الثيلبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، آكام المرجان في أحكام الجان (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

ابن منظور[1].

وإذا كان هذا الكلام لم يَزِد عدياً إلا غُموضاً، فإن الغموض الذي يحيط بقُرْص أشدّ. قال ابن الشَّجَري: "قُرْص بن مالك من غسان، ويقال هو رجل من بني كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال: هو من كِنْدة"[2]. وفي شرح ديوان حسان بن ثابت "وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان"[3]. وقال ياقوت: "تلٌّ بأرضِ غسان في شعر عبيد بن الأبرص"[4].

وإخال أن مَرَدّ هذا الخلاف البيتان نفسهما اللذان ورد فيهما اسم قُرْص. ولا أرى عليّ تثريباً إذا أعدت كتابتهما، وهما:

نَحْوَ قُرْصٍ يومَ جالَتْ حولَه الخَيلُ قُبّاً عن يمينٍ وشِمالِ[5]

ثم:

ونَحْنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنكُمُ وقُرْصاً قتلنا كانَ ممن أولئكما[6]

أما ياقوت الذي عدّ قُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأول دون الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجَوَلان الخيل حول جبل أقربُ من جَوَلانها حول رَجُل. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لاطّرح هذا الاحتمال، فقَتْل قُرْص يمِيطُه لا مَحالة.

---

(١) انظر لسان العرب، المواد: رمح، وحمر، وقيد. وقد جاءت (أبيّ) في مادتي: رمح وحمر، وجاءت (عديّ) في مادة قيد.

(٢) مختارات شعراء العرب، ص٣٢٧.

(٣) الديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) معجم البلدان، مادة قرص.

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٩٤.

(٦) نفسه، ص١١٧.

وأما من قال: قُرْص من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلتْ قُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صَعْصَعَة، فاستند إلى ما بين أسد وعامر من عداء، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: قُرْص من كِنْدة، موافق طِباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرئ القيس، والفخر عليه بفعالِ قبيلته وانتصاراتها على كِنْدة وعامر، وقتلها حُجْراً أبا امرئ القيس، وعمراً جَدّه (؟) وعمّيه الأجْدَلَيْن ومالكاً. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف قُرْص عليه يَسْتتبع أن يكون قُرْصٌ من كِنْدة.

ولكن البيت الأول يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون قُرْص من غسان. ولكن اسمه يظل غريباً على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُجْمة تجعلني أميل إلى جعله محرّفاً من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين[1].

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

وإذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنّ أنه دالّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يبكي قومه بني سَعْد بن ثَعْلَبة، الذين أبادتهم الحُروب والمنايا "في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان"[2] في قوله:

ديارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَةَ الأُلى ... أذاعَ بِهِمْ دَهْرٌ على الناسِ رائبُ

---

(١) نولدكه، أمراء غسان، ص١٨.

(٢) الديوان، ص٨.

فـأذْهَبَهُمْ مـا أذهـبَ النـاسَ قبلَهُـمْ ضِـراسُ الحـروبِ والمنايـا العَواقِـبُ

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضراسُ الحروب والمنايا التوالي، على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الإدماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها ومن غيرها ككندة وعامر وتَميم وعَبْس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

ب- في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد – أو لم أجد – بعد الحارث الأعرج شعراً لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر ابن أبي خازم الأسدي الذي كنت آمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو ولو من إلماح إليهم. فقد تغنّى بانتصار أسد وأحلافها من غَطَفان وطيئ وضبَّة على بني عامر وتميم يومي النِّسار والجِفار، وسكتَ عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير أو شرّ.

* * *

وإذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم تظهر في شعر شعراء أسد، فإنها ظهرت في شعر النابغة الذبياني.

ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غَسّان، حتى صيّرها النابغة عِبْرة لذبيان، يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُذْعِنْ لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها.[1]

إنــي كــأنّي لَــدَى النُّعمــانِ خَبَّــرَهُ بعضُ الأوُدّ حديثاً غير مَكْذوبِ[2]

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٩.
(٢) الأودّ: جمع ودّ، وهو ذو الود.

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة "ركب إلى الحارث بن أبي شَمِر[1]، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إيّاهم وأكرمه. وقد كان حِصْنُ بن حُذَيْفة الفَزاريّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسَّ بني أسد إلا حِصْن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصيرَ على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغةُ، فقال له النعمان: إن حصناً عظيمُ الذنب إلينا وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل"[2].

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار)[3]، فقَتل وأسر وسبى، قال النابغة:

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنو أسَدٍ ... فقد أصابَتْهُمُ بشُؤبوبِ

لم يبقَ غيرُ طَريدٍ غير مُنْفَلِتٍ ... ومُوثَقٍ في حبالِ القِدِّ مَسْلُوبِ

أو حُرَّةٍ كمهاةِ الرَّملِ قد كبلت ... فوق المعاصم منها والعراقيبِ

تدعو قُعَيْناً وقد عض الحديدُ بها ... عَضَّ النِّقافِ على صُمِّ الأنابيبِ

والسبايا يدعون قُعَيْناً، وهم "حيّ من أسد"[4]، ولكن لا معين لهنّ منهم.

---

(١) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبينا الحارث بن أبي شمر.

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص٥٠ زيادة مفيدة.

(٣) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فَزارة وقيل: هي عُراعِر وكُتَيبْ يدْعيان الأمْرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراعِر تحدّد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وتَيْماء (شمال غرب الجزيرة، ص٤٠١).

(٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)

بين غسان وذبيان

أ- النابغة الذبياني

لقد كفاني النابغة الذبياني مؤونة التنقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان بذبيان: فالنابغة ابن قبيلته، وابن بَجْدَتها، وذو المكانة فيها، وهو وثيق الصلة بالغساسنة والمناذرة معاً على ما بينهما من خصام.

وليست طَلِبَتي الآن أن أتحدّث عن النابغة، وقدرته الفائقة على وُلوج الموالج الصِّعاب، ومصانعة المتخاصمين، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لمدح الغساسنة والمناذرة، وهي التي مطلعها[١]:

أتاركـــةً تَـــدَلُّلَها قَطَـــامِ وَضَـــنّاً بالتحيّـــةِ والسَّـــلامِ

والتي اختلف الرواة فيمن قيلت: فهي في عمرو بن هند عند الأعلم الشَّنْتَمَري،[٢] وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي،[٣] وهي في عمرو بن الحارث الغساني عند أبي عبيدة.[٤] وكأني بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا النحو المحيّر؛ حتى يحافظ على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معاً.

* * *

وعلى الرغم أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند "لأن عمراً كان مَلِكاً قبل المنذر أبي النعمان، وملك عشر سنين، وملك النعمان ابنه ثمانياً

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٣٠.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١)، ص١٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل)، ص١٣٠.

(٤) نفسه، ص١٣٠. وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان، ص٣٩-٤٠.

وثلاثين سنة، والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو – أي النابغة– سنتين".[١]

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرجِ الغساني الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال:[٢]

واللـــهِ واللـــهِ لَنِعْـــمَ الفتـــى الـــ أعـــرجُ لا الـــنَّكْسُ ولا الخامـــلُ

والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة[٣] قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة[٤] في الحارث بن أبي شَمِر، وواحدة[٥] في الحارث الأصغر ابن حُجْر (أو عمرو) بن النعمان بن الحارث الأعرج، وسبع[٦] في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث الأصغر.

ب– سبب الخلاف بين غسان وذبيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذبيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين الجِناب وعالِج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذبياني، حيث قال ينصح قومه:[٧]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني (جمع محمد بن عاشور)، ص١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٦٧.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص١٦٧.

(٥) نفسه، ص٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٦) نفسه، ص٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٧) نفسه، ص١٤٤.

وخَلُّوا لــه بــين الجِنــابِ وعالِــجٍ فِــراقَ الخلــيطِ ذي الأذاةِ المُزايِــلِ

أما الجناب فقد حَدّدها الشيخ حمد الجاسر "بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في عِراض خَيْبَرَ من الشرق إلى تَيْماء، حيث يحدّها جبل حَدَد – هو جبل تَيْماء (غُنَيْم)– ثم تمتدّ هذه الأرض نحو الشمال حتى تتصل بوادي عَرْدَة الذي يقع أعلى وادي القُلَيْبة، القرية التي يمرّ بها المُتَّجه إلى تبوك، وهذه الأرض يطلق عليها الآن (الجَهْراء) أرض ذات أودية ومستنقعات واسعة".(١)

وأما عالِج فتسمى اليوم النفوذ، وهي الصحراء الممتدة من شمال جبل أجأ أحد جبلي طيئ (شمّر اليوم) إلى دُوْمةِ الجَنْدَل (الجَوْف اليوم)، وهي صحراء لا تخطئها العين في أية مصوّرة جغرافية لجزيرة العرب.

فهذه الأرض الشاسعة كانت مطمحَ غسان ومطمح قبائل الأحاليف، وخاصة ذبيان وأسداً. فقامت غسان في عهد الحارث الأصغر بإحماء الحِمَى فيها، كحِمَى النعمان بن الحارث الأصغر في ذي أُقر، فلم تأبه ذبيان وأسد لهذه الحمى فتربّعته، فهاجمها النعمان وأسر منها، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:(٢)

لَقَدْ نَهَيْتُ بنــي ذُبْيــانَ عــن أُقُــر وعــن تَــرَبُّعِهِم فــي كُــلِّ أصفــارِ(٣)

---

(١) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠)، ص٥٠٠-٥٠١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص٧٥.

(٣) ذو أقر وأقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أُقُر وأُقْر). وفيه أن ذا أقر واد لبني مُرّة، وهو واد نَجْل – أي واسع– مملوء حَمْضاً. وهو قريب من أرض الشربة. والشربّة شرقي وادي الرمة المشهورة (انظر شمال غرب الجزيرة، ٥٥٩-٥٦٠).

وعاودت ذبيان تربّعها، فأغار عليها عمرو بن الحارث الأصغر، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:[1]

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ برَوْضَةِ نُعْمِيَّ فذاتِ الأجاوِلِ

ومما يُسْتغرب أن يكون النابغة مع غسان ضد قومه عندما طلب أن تخلي ذبيان تلك الأرض الشاسعة لعمرو بن الحارث الأصغر.

ج- في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثْتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صوّر النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضَّوامر من الجَوْلان إبّان القَيْظ، عليها فرسان أُباة من شِيب وشُبّان قد دَرِبوا على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غِراراً حتى بلغت أهلَ المِلْح وقد أخذ منها الكَلالُ كلّ مأخذ، يتصبب منها العَرَق كانصباب الماءِ من القِرَب الوُفْرِ.

قال:[2]

قادَ الجيادَ مِنَ الجَوْلانِ قائظَةً من بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزْجَى ومجنوبِ[3]
حتى استغاثَتْ بأرضِ المِلْحِ ما طَمِعَتْ في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غيرَ تأويبِ[4]

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص١٤١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٥٠.

(٣) ذكر فيليب حتّي أن عاصمة آل جفْنة كانت في البداءة معسكراً متنقلاً، ثم صارت الجابِيَة في الجَوْلان عاصمة لهم، وجِلِّق الواقعة جنوبي حَوْران في بعض الأحيان. انظر:
History of Syrai (Macmillan & co-LTD, London, 1959), p.401.
ودُفن النعمان بالجَوْلان بين بُصْرى وجاسِم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٢١.
وتُزْجَى: تساق. والفَرَس المَجْنوب: المَقُود.

(٤) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سمّيت قرية باسم قُرَيّات المِلْح. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، ؟)، ص٣٧.
والتأويب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

يَنْضَحْنَ نَضْحَ المزَادِ الوُفْرِ أتأقها شَدُّ الرواةِ بماء غيرِ مَشْروبِ[1]
قُبُّ الأياطِلِ تَرْدِي في أعنَّتِها كالخاضِباتِ من الزُّعْرِ الظَّنابيبِ[2]
شُعْثٌ عليها مَساعيرٌ لحَرْبِهم شُمُّ العَرانينِ من مُرْدٍ ومِنْ شِيبِ[3]

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فَزارة من ذُبيان، ولذلك ينصح النابغة لِفَزارة أن تَفرّ إلى الجبال والحِرار، كيلا تلاقي ما لاقته أسد:

فإذْ وُقِيتِ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَها فانْجَيْ فَزارَ إلى الأَطْوادِ فاللولب[4]

د- في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يَقُم في عهد تولّيه إمارة غسان بعد مقتل[5] أبيه الحارث الأصغر بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقرأ، وإنما أوكل أمر قيادة الغارة إلى ابن الجُلاح الكلبي فقد قال ياقوت: "فَبَعَثَ النعمان بن الحارث إليهم جيشاً وعليه ابن الجُلاح الكَلْبي، فأغار عليهم بذي أُقُر، وسبى ستين أسيراً وأهداهم إلى قَيْصر الروم.

---

(١) المَزاد: جمع المزادة، وهي القِربة. والوُقْر: جمع الوَقْراء، وهي الملأى. وأتأق: ملأ.

(٢) قُبُّ الأياطل: ضُمْرُ البُطون. وتروى: تَرْجُمُ الأرض بحوافرها في عَدْوها. والخاضبات من الزّعرْ الظّنابيب: كناية عن النعام. والخاضِبات: مُحْمّرة السوق، وتحمر عادة سيقان الظلمان في وَقْتِ الخِصاب. والزّعْر: قِصار الرّيش. والظّنابيب: عظام السُّوق.

(٣) شُمُّ العَرانين، كناية عن الإباء والشموخ. والعِرْنينُ الأشَمّ: الأنف الذي عَلَت أَرْنَبَتُه.

(٤) اللُّوب: جمع اللّابة، وهي الحَرّة.

(٥) يستفاد هذا من قصيدة النابغة التي مطلعها:

إنْ يَسْلَمِ الحارث الحرّابُ تعترفوا جيشاً مُغيراً على ثَهْلانَ أو خَطَرا

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٢٠٦.

وقصيدة النابغة تحذير لذبيان من غارة عليهم، فقد اجتمعت عليهم غسان وكلب ورَهطُ رِبْعي وحجّار من قُضاعة،[1] وقد تمنّى النابغة فيها ألا يرى نساء ذبيان سبايا مردفات وراء الأُجَراء والأَتْباع، يَذْرِفْنَ العَبَرات، ويَنْظُرن شَزْراً إلى السُّباة، وعلى وجوههن امتعاض بيّن من إنكار الرّقّ وهنّ الحَرائر:

لا أعــرْفَنْ رَبْرَبــاً حُــوْراً مَــدامِعُها ... كــأنّ أبكارَهــا نِعــاجُ دَوّارِ[2]

يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جاء عن عُرُضٍ ... بأوْجُــهٍ مُنْكِــراتِ الــرِّقّ أحْــرارِ

خَلْــفَ العَضــاريطِ لا يُــوْقَيْنَ فاحِشَــةً ... مُسْتَمْســكاتٍ بأقتــابٍ وأكْــوارِ[3]

يُــذْرِينَ دَمْعــاً علــى الأَشْــفارِ مُنْحَــدِراً ... يــأمُلْنَ رِحْلَــةَ حِصْــنٍ وابــنِ سـيّارِ

لقد نهى ذبيان عن تربُّع أُقرُ، فعصته. وها هو ذا النعمان مقبل بجَمْع جَرّار لا كِفاء لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ إلى حَرّة النار[4]، أو أن يضع بيته في حَرّة سوداء – وحجارة الحِرار سود– لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها:

إمــا عصــيت فإنــي غــيرُ مُنْفَلِــتٍ ... منّــي اللّصــابُ فَجَنْبــا حَــرَّةِ النــارِ[5]

أو أضَــعُ البيــتَ فــي سَــوْداءَ مُظْلِمَــةٍ ... تُقَيّدُ العَيْرَ لا يَسْري بها السّاري[6]

تَــدافَعَ النــاسُ عنــا حــينَ نركَبُهــا ... مــن المظالِــمِ تُدْعَــى أمَّ صــبّار[7]

---

(١) نفسه، ص٧٧.

(٢) الرَّبْرب: القطيع من بقر الوحش، وقد استعيرت للنساء.

(٣) العضاريط: جمع العُضْروط، وهو الأجير والتابع.

(٤) حَرَّة النار: في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر الخريطة في:
Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. 1.

(٥) اللّصاب: جمع اللِّصْب، وهو الشِّعْبُ الصغير في الجبل أو مَضيق الوادي.

(٦) العَيْر: حمار الوَحش. والحرّة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير.

(٧) أم صبّار هي حَرّة النار.

* * *

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجُلاح أصاب ذُبيانَ في غزاته، حيث أقبل بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له. وأنعم عليهم، ولم يك بخيلاً.

قال:[1]

صَبَحْتَ بني ذُبيانَ منه بغارَةٍ جَرَت لكَ مِنْها السَّانحاتُ بأسْعُد[2]
أصابَهُمُ قَسْراً فأضْحَوا عِبادَه فجلّلها نُعْمَى ولم يَتَشَدَّد[3]

هـ- في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شرّاح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها[4]:

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بَرَوْضَةِ نُعْمِيَّ فذاتِ الأجاوِلِ

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٢١٢.

(٢) السانحات من الطيور والظباء ما ذهبت من مياسر السائرين إلى ميامنهم وهي فأل حسن عند بعض العرب (ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفاءل بالبارح وهو الذي يولي المياسر.

(٣) عباده: عبيده. يتشدد: يبخل.

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن عاشور) ص١٩٥.

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغَسّاني ببني مُرَّة بنِ عَوْفِ بن سعْد بن ذُبْيان".[1]

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد تمّت، وإنما تتحدّث عن غزوة متوقّعة سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر ردّاً على تربّع مُرَّة رَوْضَة نُعْمِّي وذات الأجاوِل في المنطقة الواقعة بين الجِنَاب وعالِج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها سبب الصراع بين غسان وذبيان.

ويُظهر النابغة فَزَعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فَزعِ وَعْلٍ من وعول جبل ذي المَطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزيدُ مَخافَتِي على وَعِلٍ من ذي المَطارَةِ عاقِلِ

ويُظهر عَمْراً يقودُ جَحْفَلاً ربْعيّاً كأنه حَرَّةٌ ذات الحجارة السّود، وتبدو الخيل قد آدَها الجري من بُعد الشُّقّة، فنحُل عودُها، واصفرَّ نُخاع عظامها ورقّ، وبَرَى الصَّوّان حوافِرها، فبدت الخيل – على نحو لِها وبري حوافرها – لطافاً كالقنا الذَّوابل:

مَخَافَةَ عمرٍو أنْ تكونَ جِيادُهُ يُقَدْنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ[2]
إذا استَعْجَلوها عن سَجيَّة مثْلِها تبلَّغُ في أعناقِها بالجَحافِلِ[3]
شَوازبُ كالأجْلامِ قد آل رِمُّها سَماحقَ سُفْراً في تَليلٍ وفائِلِ[4]

---

(١) انظر الديوان بالتحقيق، ص١٤١، ١٩٤.

(٢) الحافي: كناية عن الإبل، ولو أنهم كانوا يلفّون أخْفافَها بالخِدَام من الجلد. والنّاعل: كناية عن الخيل.

(٣) الجحافل: جمع الجَحْفَلة، وهي بمنزلة الشَّفَة من الإنسان.

(٤) الشّوازب: الضوامر. والأجْلام: جمع الجَلَم، وهو المقص. والرِّمُّ: بقية المخ. والسَّماحيق: جمع السِّمْحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.
والتَّليل: العُنُق. والفائل: اللحم الذي على نُقْرة الوَرِكِ.

بَـرَى وَقـعُ الصَّـوّانِ حـدَّ نُسورِهـا فَهُـنَّ لِطـافٌ كالصِّعَـادِ الـذوابل[1]

وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطُّفَيْل الغَنَوِيّ حيث نرى الخيل تطرح أولادها فتبدو أسلاؤها كالوَصائل الحُمْر، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السُّخَّل:

ويَقْـذِفْنَ بـالأولادِ فـي كُـلِّ مَنْـزِلٍ تَشَـحَّطُ فـي أسْـلائها كالوصـائلِ[2]
تـرى عافيـاتِ الطيـرِ قد وَثِقَـتْ لهـا بِشِبْعٍ من السَّخْلِ العِتاقِ الأكائلِ[3]

وترى الخيل قد جُنِّبت مع الإبل – أي قُرنت لها– حيث كانوا في الغارة الشَّحُوط يركبون الإبل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكونَ لها قوة وجلد عند القتال والغارة. ويحملون الإبل المَراجل التي يطبخون فيها، ويحمّلونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع غسان سابغةً ليّنة، قد حُفِظت خير حِفْظ، ووُقيت من الصدأ بدُرْدِيِّ الزيت، ومن التلف بحشوها بكَرَّة:

مُقَرَّنَـــةً بـــالعِيْسِ والأُدْمُ كالقَنَـــا عليها الخُبُورُ مُحْقَباتُ المَراجلِ[4]
وكُـــلِّ صَمُـــوتٍ نَثْلَـــةٍ تُبَّعِيَّـــةٍ ونَسْـجِ سُـلَيْمٍ كـلَّ قَضّـاءَ ذائِـلِ[5]
عُلِيـــنَ بكِدْيَـــوْنٍ وأَبْطَـــنَّ كَـــرَّةً فَهُـنَّ وِضـاءٌ صـافِياتٌ الغَلائِـلِ[6]

---

(١) النسُور: جمع النِّسْر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفَرس من أعلاه. والصِّعاد: جمع الصِّعْدَة، وهي قناة الرّمح.

(٢) تَشَحَّط: تضطرب. والأسْلاء: جمع السَّلَى، وهو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بَطْنْ أمه. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط خضر.

(٣) السَّخْل: كلّ شيء لم يُتَمَّم، وجمعها سُخَّل وسُخَّال (القاموس المحيط للفيروز آبادي، محمد ابن يعقوب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢– مادة سخل) وقد جعل النابغة (السّخل) للجمع. والأكائل: جمع الأكيلة، وهي أكيلةُ السَّبُع التي يأكلها إذا افترسها.

(٤) الخُبُور: جمع الخَبْر، وهي المزادة ومُحْقَبات المَراجل: أي في حقائبها المراجل التي يطبخون فيها.

(٥) الصّموت: الدرع الثقيلة. والنَّثْلَة: الواسعة. والتُّبَّعِيّة: نسبة إلى تبابعة اليمن وسُلَيْم: سليمان، وأراد بسليمان داود، لأن داود أول من عمل الدّروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القضض وهي الحصى الصغار، وذلك أمتنُ للدّرع. والذائل: الطويلة السابغة.

(٦) الكِدْيَوْن: وَرْديّ الزيت، وهو ما رسب في قاع إناء الزيت. والكَرَّة: البَعْر والرَّماد.

ولا بدَّ لي من التلبُّث هَوْناً عند جيش الغارة، وفيه تُرى الخيلُ والإبل، فَتُجْنَبُ الإبل بالخيل، وتَحْمِل الإبل الرجالَ وشِكَّة الحرب وأدوات الطعام، وتكون الخيل خالية غير مُمْتطاة. فإذا حانت ساعة المعركة خُلِّيَت الإبل وامتُطِيت الجياد، فهي أداة الحرب الأساسية.

وسبيل الجاهليين في حفظ الدُّروع من الصدأ والتَّلَف – كما أشار النابغة– كانت بطلائها بدُرْديّ الزّيت وحَشْوها بالرّماد والبَعْر. وهذه إشارة مهمة في صَوْن آلة من آلات الحرب.

و– ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: "لم أسمع من تعنيف النابغة لبني أسد إلا القصيدة البائية[1] التي قالها في مدح الحارث بن أبي شَمِر، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني أسد وبني فَزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسْن والاستواء حتى كأنه يصف ويذكر دياراً بعيدة"[2].

والنابغة لم يذكر أسداً فقط – وهم حلفاء ذبيان– كأنه ذَكَر دياراً بعيدة وإنما ذكر قبيلته ذبيان أيضاً كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غسانِيّ، يتهدّد ذُبيان بقوة غسان، فيهوّل في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوّف بها قبيلته ذُبيان، ويَصْدَعَ صَفاتَها، ويُوهنَ من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوّره مُغيراً على قومه، قائداً الجياد من الجَوْلان، عليها مَساعيرُ حربٍ من شِيْب غسان

---

(١) أي التي مطلعها:

إني كأني لَدَى النّعمان خَبَّرَه بعضُ الأُوُدِّ حديثاً غيرَ مَكْذُوبِ

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٥٤ (الحاشية).

ومُرْدِهم، حتى بَلَغْنَ أهل المِلْح، وكنّ ينضَحْن بالعرق كما يتبزّل الماء من الرَّوايا الوُفْر.

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر، فيخوّف بها قومه، ويصوّره ليثاً ضارباً مُنْقَبضاً مُسْتَوفِزاً لِفِراس قومه، فيسوق نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلفَ أتباعه وأُجَرائه، ولا يوقَيْن فاحشة، فيذرين الدّمع، وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبيّ مُوهن ناكص، فما نرى – أو لم أرَ – شاعراً جاهلياً يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفِرار إلى الحِرار، والنّجاء في الجبال.

* * *

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومه بعض سادات قبيلته، ومنهم حِصْن بن حُذَيفة الفَزازيّ الذي اتهمه النعمان بجَمْع الجموع لمحاربة غسان، وبَدْر بن حُذار، وخُزَيْم بن سَيّار، وزَيّان بن سَيّار صهر النابغة.(١)

(٥)
بين غسان وطيئ

قال ابن سعيد في طيّئ: "وهي الرَّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العَرِم على بني أسد، فحاربتها إلى أن اصطلحا على الجِوار، فحلَّتْ طيّئ بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز إلى اليوم".(٢)

---

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٧٩–٨١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ العرب، ١: ٢٢٢.

وقال اليعقوبي: "وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطيئ محالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة".[١]

وكانت طيّيء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغسان معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،[٢] وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذرّ الخلاف بين قبيلتي طيئ: الغَوْث وجَدِيلَة، قام الحارث بن جَبَلَة الغسانيّ بالإصلاح بينهما – قال ابن الأخير عن يوم اليَحاميم: "وهو بين قبائل طيّئ بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغساني كان قد أصلح بين طيّئ، فلما هلك عادت عادت إلى حربها"[٣].

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالإصلاح بين أحياء طيّئ إشارة دالّة على مكانة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جِرْوة الملقّب بعارق الطائي، قال:[٤]

واللهِ لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جاركُمْ	ما إنْ كَساكُم غُصَّةً وهَوانا
وسَلاسِلاً يبرُقْنَ في أعناقِكُمْ	واذَنْ لقَطَّعَ تلكُمُ الأقرانا
ولكانَ عادتُه على جيرانِه	ذَهَباً وَرَيْطاً رادِعا وجِفانا[٥]

(١) تاريخ اليعقوبي، ١: ٢٦٣.

(٢) الحماسة، شرح المرزوقي. ص١٤٦٦.

ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طيّئ، ويمكن تتبّع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) الكامل في التاريخ (الطابعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٣٨٨.

(٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائض (تحقيق بيفار، بريل، ليدت، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.

(٥) الرَّيْط: جمع الرَّيْطَة، وهي الثوب اللّيّن الرقيق– والرّادع: المَرْدع، المُلمَّع بالزعفران أو بالطيب. والجِفان: جمع الجَفنة، وهي القَصْعَة.

ومناسبة هذه الأبيات – كما ذكر ابن الكلبي– أن "عمرو بن هند غزا اليَمامة، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطيءٍ، فقال له زُرارة بن عُدَس[1]: أصِبْ من هذا الحي شيئاً. قال: ويلك! إن لهم عَقْداً. قال: وإن كان، فإنك لم تَكْتب العقد لهم كُلّهم، فلم يَزَل به حتى أصاب نسوة وأذْوادا[2]، فقال قيس:[3]

أكـلُّ خَمِـيسٍ أَخطـأ الغُـنْمَ مَـرَّةً ... وصـادفَ حَيّـاً دائمـاً هـو سـائِقُهْ

فأقْسـمتُ لا أحتـلُّ إلا بصَـهْوَةٍ ... حَـرامٌ عليـك رَمْلُـهُ وشَـقائِقُهْ[4]

فأقسـمتُ جَهْـداً بالمنـازِلِ مـنْ مِنَـى ... ومـا ضـمَّ مـن بَطْحـائهنّ دَرادِقُـهْ[5]

لـئن لـم تغيّـرْ بعـضَ مـا قـد صَـنَعْتُمُ ... لأنتَحِـيَنْ للعَظْـمِ الـذي أنـا عارِقُـهْ

وما أروم أن أتلبّث عند عارق، فشعره في هذه المناسبة وَفْر، وهو في علاقة طيّء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارِقٌ بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جَبَلَة: فلو كان الحارث جاراً لطيّئ لما أذاقها الهوان ولَكَان قد عادَهُم بالمال والكساء والطعام.

* * *

وعلى الرغم من دخول طيئ حلف أسد وذبيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلّت متوازنة. وقمينٌ ألا يَعْزُب عنا معنى وجود إياس بن قَبيضَة الطائي في

---

(١) زُرارة بن عُدَس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٧٦، ٢٣٦، ٤٥٠.

(٢) الأذواد: جمع الذَّوْد، وهي في الجِمال من ثلاثة إلى عشرة.

(٣) ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة، ؟)، ص١٧٠.

(٤) الشّقائق: جمع الشّقيقة، وهي الفُرْجة بين الجبلين تُنْبِت العشب.

(٥) الدَّرادِق: جمع الدِّرْدَاق، وهي صغار الإبل وغيرها.

الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خَلَفاً للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

أخشى أنني أستبق الأحداث، فأجْدرْ بي أن أرتدّ إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي – وهو راوية ديوان حاتم الطائي – أن طيّئاً "أغارت على إبلٍ للحارث بن عمرو الجَفْني، وقتلوا ابناً له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلَنَّ ويستبيَنَّ الذَّرارين فحلف ليقتلَنَّ من الغَوْث أهل بيتٍ على دمٍ واحد، فخرج يريد طيّئاً، فأصاب من بني عَدِيّ بن أَخْزَم تسعين رجلاً، رأسُهُمْ وَهْم ابن عمرو من رَهَطِ حاتم"[1].

ويمكن تصحيح الرواية استناداً إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذبيان، وقد تبيّنا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يَحْمي حمى بين عالِج (النُّفوذ) والجِناب (الجَهْراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسداً وذبيان أصابت طيئاً أيضاً، فهي حملة واحدة فيما أرجّح.

صدى الحملة في شعراء طيئ

لا نجد – أو لم أجد– صدى لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٨٧–١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت، ؟ ص٥٥: "أغارت طيّيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له". وفي الموفقيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص٤٤٣:

"أغارت طيّيء على إبل النعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، وقتلوا ابناً له". وفي الأغاني (تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧: ٢٨٨ أغارت طيّيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث بن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له".

ذكر ابن الكلبي أن حاتماً كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيّئاً، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أُسِر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه مِلْحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه.(١).

* * *

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاهنّ إذ عزم على السفر إلى الحارث:(٢). ومطلعها:

ألا إنني قد هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حُبِّ النساءِ ولا الأَشَرْ

ويتبدّى في هذه القصيدة – أو المقطوعة(٣)– غموض مصير الأسرى الطائيين، فحاتم لا يدري ما الحارث فاعلٌ بهم: أيخلّي سراحهم، ويردّهم إلى أهليهم، أم يستبقيهم أو يقتلهم صَبْراً أو يسترقّهم؟

ومصيرُهم بين خير مأمول من الحارث – خير الناس حيَّاً وميّتاً– وشرٍّ متوقّع سيحتمله هو وقومه، كما احتملوا شرّاً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليتَ خيرَ الناسِ حيّاً وميّتاً يقولُ لنا خيراً وَيُمْضي الذي ائتَمَرْ
فإنْ كانَ شَرٌّ فالعَزاءُ بأنّنا على وَقَعاتِ الدَّهْرِ من قَبْلِها صُبُر

ويحدِّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقرّ الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر:

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص١٨٨. والموفقيات، ص٤٤٣. والأغاني، ١٧: ٢٨٨–٢٨٩.

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ١١٨.

(٣) لأنها تسعة أبيات.

سَقَى اللـهُ ربُّ النـاسِ سـحّاً وديمَـةً جَنـوبَ الشَّراةِ من مَـآبٍ إلـى زُعَرْ[1]
بـلادَ امـرِئٍ لا يَعْـرِفُ الـذمُّ بيتَـهُ له المَشْرَبُ الصافي وليسَ له الكَدَرُ

ويستوقف هذا التحديدُ لبلاد الحارث الغسانيّ "جنوب الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر": يستوقف جغرافياً لأن جبال الشراة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)، ويفصل بينهما وادي الحسا. أما جبالُ مُؤاب فتقع بين وادي المُوجِبِ شَمالاً ووادي الحَسا جنوباً.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتّم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية، فتحديد الشراة وَمآب وزُغَر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذلك الباب.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَـقَى اللــهُ النــاسَ سَــحّماً وديمَــةً جنـوبَ السَّـراةِ مـن مَـآبٍ إلـى زُغَـرْ

فهي السَّراة وليس الشَّراة، وهذه هي الرواية التي أثبتتها طبعة صادر[2] من ديوان حاتم، وهي المُثْبتة في الأغاني[3] والموفقيات.[4]

---

(١) السَّح: الصَّبُّ المتتابع. والديمة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.
(٢) ص٥٦.
(٣) ١٧: ٢٨٩.
(٤) ص٤٤٤.

والسَّراة هي سلسلة الجبال الممتدة غرب جزيرة العرب من شمالها إلى جنوبها، وتُحدَّد أجزاؤها باسم المنطقة التي تكون فيها، فيقال بذلك: سَراة الحجاز وسَراة اليمن.

وجبال الشَّراة ومؤاب وعجلون والسويداء امتداد طبيعي لسلسلة جبال السَّراة، وهي التي أطلق عليها حاتم (السّراة) أو سَراة الشام إذا انسحب إليها ما انسحب على السَّروات في الجزيرة.

فكأنّ حاتماً أراد جنوب سراة الشام حيث تقع بالفعل مآب وزُغَر.

* * *

وثمة مسألة أخرى في هذا البيت وهو مَآب، فقد جعلها حاتم مدينة أو قرية، وهي كذلك عند ياقوت، حيث قال: "وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البَلْقاء، قال أحمد بن محمد بن جابر: توجّه أبو عبيدة بن الجرّاح في خلافة أبي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام إلى مآب من أرض البَلْقاء وبها جمع العدوّ فافتتحها على مثل صُبْح بُصْرى."[١].

وأرجّح أن مآب مدينة مأدبا اليوم.

وأما زُغَر فمدينة من مدن قوم لوط عليه السّلام، وقد ورد ذكرها في العهد القديم باسم (صُوغَر) في الطبعة العربية[٢]، و(صوعر) [illegible] في الطبعة العبريّة[٣] وهي المدينة التي لجأ إليها لوط عليه السلام.

---

(١) معجم البلدان – مادة مآب.

(٢) سفر التكوين، إصحاح ١٩ (مطبعة عنتر، القاهرة، ١٩٦٩).

(٣) [illegible] (1951).

وزُغَر كثيرة الورود في كتب الجغرافيين العرب ذكرها ابن حَوْقل[١] والاصطخري[٢] وياقوت[٣]. وقال عنها ابن شدّاد: "هي مدينة حارّة متصلة بالبادية، وبها نِيْل لا يُقَصّر عن نيل كابُل"[٤].

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهّان – محقّق الأعلاق الخطيرة – ما ذكره أن "زُغَر هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت"[٥]، فسألت زميليّ الدكتور حسن عبدالقادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

* * *

وذكر ابن الكلبيّ أن حاتماً قال في أُسارَى قومه، وكانوا عند بعض الملوك، فلما سمع هذا الشعر وهبهم له"[٦].

قال:[٧]

أَبَــى طُــولُ لَيْلِــكَ إلا سُــهُودا ... فمــا إنْ تُبــينُ لِصُــبْحٍ عَمُــودا
أبيــتُ كئيبــاً أراعــي النَّجــومَ ... وأوجِــعُ مــن ســاعدَيّ الحديــدا
أُرَجِّــي فَواضِــلَ ذي بَهْجَــةٍ ... مــن النــاسِ، يَجْمَــعُ حَزْمــا وجُــودا

---

(١) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص١٦٠.

(٢) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص٤٧.

(٣) معجم البلدان، مادة زغر.

(٤) ابن شداد، عز الدين أبو محمد بن علي إبراهيم الجبلي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢). ص٦٧.

(٥) نفسه، ص٢٨٩ (الحاشية).

(٦) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص٢٠٦.

(٧) نفسه، ص٢٠٦-٢٠٧.

نَمَتْـــــهُ أُمامَـــــةُ والحارِثـــــا ... نِ حتـــى تَمَهّـــلَ سَـــبْقاً جَديـــدا
كَسَـــبْقِ الجـــوادِ غَـــداةَ الرِهـّـــا ... نِ أَرْبَـــى علـــى السّـــنِّ شَـــأواً مديـــدا
فـــأَجْمِعْ فِـــداءٌ لـــك الوالـــدانِ ... لمـــا كنـــتَ فينـــا بِخَيْـــرٍ مُريـــدا
فَتَجْمَـــعَ نُعْمَـــى علـــى حـــاتِمٍ ... وتَحْضُـــرَها مـــن مَعَـــدٍّ شُـــهُودا
أم الهُلْـــكُ أدنـــى فمـــا إن عَلِمْـــتُ ... علـــيّ جُناحـــاً فأخشَـــى الوعيـــدا
فأحسِـــنْ فـــلا عـــارَ فيمـــا صَـــنَعْت ... تُحْيـــي جُـــدوداً وتَبْـــري جُـــدودا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب عليّ الرُّجْحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نمياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث ابن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أمّ الحارث الأصغر.

* * *

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال:[1]

أبلِـغِ الحـارثَ بـن عَمْـرو بـأنّي ... حـــافِظُ الـــوُدِّ مُرْصِـــدٌ للثَّـــوابِ
ومُجيـــبٌ دُعـــاءَه إنْ دَعـــانِي ... عَجِـــلاً، واحـــداً، وذا أصْـــحابِ

فالحارث هو الحارث بن عمرو، وحاتم حافظ للودّ، ومقدّر صنيع الحارث عليه. وهو يَعِده أن يلبّي الحارث إذا دعاه، هو وحده، أو هو وأصحابه.

إنمـــا بينَنـــا وبينَـــك فـــاعلم ... سَـــيْرُ تِسْـــعٍ للعاجِـــلِ المُنْتَـــابِ
فـــثَلاثٌ مـــن السَّـــراةِ إلـــى الحلـــبط ... للخَيْـــلِ جاهَـــداً والرِّكـــابِ[2]

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٤-١٩٧.
(٢) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر)، ص٢٧ وفي (الحَلْبَط) اختلاف في الرواية أثبت على حاشية الديوان. ونجد بعض التشابه بين أسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرئ القيس. وورد في ديوان امرئ القيس (الحلْيَت) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص٧٨، ٣٩٦.

وثـــــلاثٌ يَـــــردْنَ رَهْـــــواَ وثَـــلاثٌ يُغْـــرُوْنَ بالإعجـــاب[1]
فـــإذا مـــا مَـــرَرْتَ فـــي مُسْبَطِـــرٍّ فاجْمَعِ الخيلَ مثلَ جَمْعِ الكِعابِ[2]

فبين الحارث وطيّئ سير تسع ليال لمن قصد الزيارة، فعجّل فيها: ثلاث من السّراة حيث ديار غسان إلى الحَلْبَط، وثلاث من الحَلْبَط إلى تَيْماء، وثلاث إلى ديار طيّئ حيث الطريق بينهما واضح.

ليـــت شـــعري متـــى أرى قُبَّـــةً ذا تَ قِـــــلاعٍ للحـــــارثِ الحَـــــرّابِ
بِيَفـــــاعٍ، وذاكَ منهـــــا مَحَـــــلٌ فَـــوْقَ مَلْـــكٍ يَديـــنُ بالأحســـابِ

أَخلِقْ بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الذّهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب!

والحارثُ في قُبّة ذاتِ قلاع على يَفَاعٍ من الأرض، وهو حَرّاب،[3] وهذا لقب للحارث الأصغر مثلما كان لقبُ الوّهاب[4] للحارث بن أبي شَمِر.

* * *

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزّة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسانّياً أكثر منه ذبيانياً. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه الثُّعَليّون كأنهم اللّيوث[5]،

---

(١) الرَّهو: السير السهل. ويُغْرُوْن: يَطْمَعْن.

(٢) المُسْبَطِرّ: الطريق الممتدّ المستقيم. والكعاب: جمع الكعب، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد، ويسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

(٣) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م)، ص٥٥-٢٧٥.

(٤) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٧٠). ص٣٩.

(٥) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٦.

وقومه نشاوى "لَهُمْ من كلِّ سائمةٍ جَزَر"[1] وَوَهْمُ بن عمرو- وهو أحد الأسرى الأشراف- جلد جريء بعيد الغارة. وهو - أي حاتم- إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فإنه يجيء "كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ"[2].

ويستوقف أيضاً ذلك التّصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأني بحاتم قد دعا الحارث إلى زيارة ديار طيّيء، فوصف له الطريق.

* * *

وقد ودِدْت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيّئ وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يَصْدُرون عن منهل واحد، فتراهم يُجْبِلون عند الهزيمة وينقدحُ زَنْدُهم عند النصر.

(٦)
بين غسان وضبّة
أ- إشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خؤولة في بني ضَبّة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير.

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضَبَّة مع غسّان، قال:[3]

إن الـذي سَـمَكَ السـماءَ بنـي لنـا بَيْتـاً دعَائمُـهُ أعـزُّ وأطْـوَلُ

---

(١) نفسه، ص١٨٩.

(٢) نفسه، ص١٩٠. والقافية مقيّدة.

(٣) شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟) ٢: ٧١٤-٧١٩.

....

إنّ ابــنَ ضَــبَّة كــان خيــراً والــداً وأتــمُّ فــي حَسْــبِ الكــرامِ وأفْضَــلُ
وَهُــمُ علــى ابــنِ مُزَيْقِيــاءَ تنــازلوا والخيــلُ بــينَ عَجاجَتَيْهــا القَسْــطَلُ
ومحرِقــا صَــفَدُوا إليــه يمينــه بصِــفادِ مُقْتَسِــرٍ أخــوهُ مكَبَّــلُ
مَلِكَــانِ يــومَ بُزاخَــةٍ قَتَلُوهُمــا وكلاهُمــا تــاجٌ عليــهِ مكلَّــلُ
يــا ابــنَ المراغَــةِ أيــنَ خالُــكَ إننــي خــالي حُبَــيْشٌ ذو الفَعــالِ الأفْضَــلُ
خالِي الذي غَصَبَ المُلوكَ نُفوسَهُمْ وإليــه كــانَ حِبــاءُ جَفْنَــةَ يُنْقَــلُ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لِضَبَّة على غسان: بُزَاخَة، وإضَم، وأورد شعراً لبعض شعراء ضَبَّة في هذين اليومين.

ب- يوم بُزَاخة

قال أبو عُبيدة: "وأما حديث مُحَرِّق وأخيه زياد يوم بُزَاخَة، فإنه أغار محرِّقٌ الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تَغْلِب وغيرهم، على بني ضَبَّة بن أُدّ ببُزاخَة، فاستاقوا النَّعَم. فأتى الصريخ بني ضبَّة، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن زَيْد الفَوارس حَمَل على مُحَرِّق، فاعتنقه وأسره، وأسروا أخاه أسره حُبَيْش بن دُلَف السِّيْدِيّ، فقتلهما بنو ضَبَّة (وكان يقال لأخي محرِّق فارس مَرْدُود)، وهُزم القوم، وأُصيب منهم ناس كثير".(١)

وتذهب بي الظّنون مذهبها في نسبة اليوم إلى مُحرِّق الغَسّاني؛ فلقب مُحَرِّق قد لحق باثنين – أو أكثر من العرب- أشهرهما مُحَرِّق من المناذرة، وهو عمرو بن هند لفعلته الشنعاء بتميم حين حرق مائة منهم أحياء، وهو خَبَرٌ شائع شَرُود.

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبدالكريم النهشلي القيرواني (تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٨) ص١٥١.

وثانيهما مُحَرِّق من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدّمي أمراء غسان، لحرقه الحيرة.

وليس هذا مبعثَ الظّن، وإنما اشتراك تغلب وإيادِ محرِّق الغساني في الغارة على ضَبَّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أدْخلُ من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعلّ المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عداء، والتي جاء خبرها عند ابن الأثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزاخة نفسه.

قال ابن الأثير: قال أبو عبيدة: إن بكراً وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مُرة ابن هُمام فغزا بهم المُنذر بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو ابن هند، وقال: اغْز أخوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهزم بنو آل المُرار، وأسروا، وجاءوا بهم على المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام ....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شَمر الغساني، فمرّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقيه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يَعلموْا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزونّهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومي! فقال عمرو: ما استيقظ قوم إلا نَبُل رأيهم وعزّت جماعتُهم، فلا توقظن نائمهم. فقال كأنك تتوعّدني بهم، أما والله لتعلمنّ إذا نالت غطاريف غسان في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نَومة لا حُلم فيها، تجتث أصولهم، وتَنفي فَلّهم إلى اليابس الجَدَد والنازح الثّمد![1]

---

(١) الفَلّ: المنهزمون (يقال للواحد والجمع). والجَدَد: المكان المستوي. والنَّازِح الثّمد: المكان ذو الآبار بعيدة القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء.

ثم رجع عمرو بن كُلْثوم عنه وجمع قومه، وقال:

ألا فـــاعلَمْ أبيـــتَ اللَّعْـــنَ أنـــا ... أبيـــتَ اللَّعـــنَ تَـــأبَى مـــا تُريـــدُ
تَعَلَّـــمْ أنَّ مَحْمَلَنـــا ثَقيـــلٌ ... وأنّ دَبـــارَ كَبَّتِنـــا شَـــديدُ[1]
وأنـــا لـــيسَ حـــيٌّ مـــن مَعَـــدٍّ ... يُقاوِمُنـــا إذا لُـــبِسَ الحَديـــدُ

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كُلْثوم:

هـلّا عَطَفْـتَ علـى أخيـك إذا دَعـا ... بالثُّكْلِ وَيْلَ أبيكَ يـا ابـنَ أبـي شِمَرْ
فَذُقِ الـذي جَشَـمْتَ نَفْسَـك واعتـرف ... فيهـا أَخـاكَ وعـامِرَ بـن أبـي حُجُـر[2]

* * *

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح.

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أنْ محرِّقاً قُتِل في ذلك اليوم، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرِّق، فتلقّاه فوارس ضبة، ومنهم زيد الخيل بن حصين بن ضرار الضَّبِّي وابنا مُنْذِر، وسَمَوْا له بالطعن، فرماه زيد الخيل بِغُرَّة فرسه (كامل)، وكأنه ليثٌ ضارٍ بكفيّه المنية:

قال:[3]

نِعْـمَ الفَـوارسُ يـومَ جـيش مُحَـرِّقٍ ... لَحِقُـوا وَهُـمْ يَـدْعُونَي لَضِـرارِ
زيـدُ الفَـوارسِ كـرٌّ وابنـا مُنْـذِرٍ ... والخَيْـلُ أوجَفَهـا بنـو جَبّـارِ[1]

---

(١) الدّبار: الهلاك. والكبّة: الدّفعة من الرجال في القتال.
(٢) الكامل في التاريخ، ١: ٣٢٥.
(٣) النقائض، ١: ١٩٥.

حتـــى سَـــمَوْا لمُحَـــرِّقٍ برِمـــاحِهِمْ بـــالطَّعْنِ بـــينَ كتائـــب وغُبَـــارِ
يَرْمـــي بِغُـــرَّةِ كامـــلٍ وبنَحْـــرِهِ خَطَـــرَ النُّفـــوسِ وأيَّ حـــينِ خِطـــارِ
وكـــأنّ زيـــداً زيـــدَ آلِ ضِـــرارِ لَيْـــثٌ بكفيْـــهِ المنيَّـــةُ ضـــارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرِّق تَحُطّ عليهم عافياتُ الطّير، وعن رماح تكسّرت قناها:

جَعَلـوا لِعـافي الطَّيْـرِ مِـنْهُمْ وَقْعَـةً صَـرْعَىً تَضَـوَّرُ فـي قِنـا أكْسـارِ

ولا نَجدُ ذِكْراً في قصيدة ابن القائف لفارس مَرْدُودٍ الذي ذكر ابن الكلبي[٢] وابن الأنباري[٣] أنه رجل من غسان، واستشهدا بقول ربيعة بنَ مَقْروم الضّبي[٤]:

وفـارِسَ مَـرْدُودٍ أشاطَـتْ رماحنـا وأَجْـزَزْنَ مَسْـعوداً ضِـباعاً وأذْؤبـا[٥]

ج- يوم إضَم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمّى إضماً[٦] وأقرب تحديد لما نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جَنْدلِ التميمي – وبين تميم وضبّة

---

(١) أوجَفَ الخيلَ: حثّها على الجَرْي.
(٢) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٩٩.
(٣) شرح المفضليات، ص٧٤٠.
(٤) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص٧٣٢-٧٤٠.
(٥) أشاطَ: أهلك. وأجرزَ: أطعم.
(٦) انظر معجم البلدان، ماد إضم.

اختلاط- حيث حدّد إضمَاً "بين الدَّكادِكِ من قَوٍّ فَمَعْصُوبِ"[1]، وَقوٌّ في الجِناب، الجَهْراء اليوم، كما ذكرنا من قبل.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر "أقبل حتى أغار على بني ضَبَّة فأصاب بني عائذة بنِ مالك بن سعد بن ضَبَّة، وقد كانوا أوقدوا مع جِرْوة وشَقْرة ابني ربيعة بن ثَعْلَبة بن سعد بن ضَبَّة ناراً للحرب، فقال الملك: ما هذه النار التي تُدخّن علينا؟ قالوا: هذه شَقْرة وجروة قد أوقدوا ناراً للحرب! قال: احملوا عليهم. فحملوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة".[2]

ويَذكر أنّ ضَبَّة أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر، أسره حُبَيْش بن دُلِف الضّبّي، فجزَّ ناصِيته، ومنَّ عليه، واشترط عليه جُعْلاً يؤديه في كل سنة إليه.[3]

ويقال: "جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدْعى عامر بن ضامر فقال: والله لأطعنَنَّ اليوم طعنةً كَمَنْخِر الثَّور النَّعِر[4]، فطعن ابنَ مُزَيْقِياء وقتله وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَقْروم:

وآل مُزَيْقِيـــاءَ وقـــد تَـــداعَتْ حَلائـــيُهُمْ لنـــا حتـــى قَرِينـــا
صَـبَرْنا بالسّيـوفِ لَهُـمْ وكانـت مَعاقِلُنـــا بِهـــنَّ إذا عَصِينـــا

---

(١) من مطلع قصيدته:

يا دار أسماءَ بالعلياءِ من إضِم بين الدكادِكِ من قَوّ فَمَعْصُوبِ

انظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص٢٢٣.

(٢) النقائض، ١: ١٩٥-١٩٦.

(٣) الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠و ٢: ٥٢٦.

(٤) الثور النَّعِر: الثور الذي دخلت في مَنْخَرِه النَّعَرة، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها، وتدخل في أنوفها فتهيجها.

وقالت نائحته:

لَعمْـري لقـد غـادَرْتُمُ يـوم رُحْـتُمُ على إضـمٍ مـنكم عَقِيـرةَ عـامرِ
لقـد خَطَّـطَ الأنـواء طَعْنَـةُ عامِـرٍ ألا يـا قتيلا مـا قتيلُ ابـنِ ضامـرِ"[1]

وليس في الشعر ما يدلّ على اسم الغساني الذي أسره حُبَيْس ولا اسم الغساني الذي قتلته ضَبّة أو قتله عامر بن ضامر.

ويُسْتبعد كثيراً أن يكون حُبَيْس أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأن مثل هذا الأسر ما كان ليمرَّ من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي.

وربيعة بن مَقْروم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزاخَة وإضم شاعر مخضرم "عاش في الإسلام دهراً وشهد القادسية"[2]، وله في القادسية شعر[3]. ويغلب عليّ الظّن أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إضم "وآلُ مُزَيْقِياء وقد تداعت" إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام. بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضاً من آل مُزَيْقياء عمرو بن عامر الأزديّ؟[4]

* * *

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذبيان وطيّئ وضبّة لم يظهر في الشعر،

---

(١) نفسه، ص١٩٠. والقافية مقيّدة. النقائض، ١: ١٩٦.

(٢) ديوان المفضليات (شرح ابن الأنباري)، ١: ٧٣١.

(٣) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص١٨٠.

(٤) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ١٤٠-١٤٦.

حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف. ولا أكاد أستثني إلا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذبيان وأسد.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.

- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٩م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، تحقيق عبدالسلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.

- امرؤ القيس:
ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨م.

- ثعلب، أحمد بن يحيى:
مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢م.

- جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦م.

- حاتم الطائي:
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ؟.
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟.
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م (مخطوط).

- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية:
المحبّر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢م.

- حسان بن ثابت:
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- الحلّي، أبو البقاء هبة الله:
المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤م.
- حمد الجاسر:
غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي:
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد:
تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.
- الزبير بن بكار:
الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م.
- زهير بن أبي سلمى:
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.
- زيد الخيل الطائي:
ديوان زيد الخيل الطائي، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان.
- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى:

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

- سلامة بن جندل:

ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨م.

- الثعلبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله:

آكام المرجان في أحكام الجان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

- ابن الشجري، هبة الله بن عبدالله:

مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد بجّاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

- ابن شدّاد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن إبراهيم الجلبي:

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.

- الشمشاطي، علي بن محمد بن المطهر العدوي:

الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه:

العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥م.

- عبيد بن الأبرص:

ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى:
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، ليدن، ١٩٠٧م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله:
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- عمرو بن شأس الأسدي:
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل:
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟.
- الفرزدق:
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم:
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد:
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:
أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟.
- لبيد بن ربيعة:
شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧م.
- المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المفضل الضبّي:
المفضليات، شرح ابن الأنباري، تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرّم:
لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦م.
- النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.

ديوان النابغة الذبياني، جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس ١٩٧٨م.

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

- نبيه عاقل:

تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.

- النهشلي، عبدالكريم النهشلي القيرواني:

الممتع في علم الشعر وعمله، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٧٨م.

- شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي:

معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٧م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:

تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥م.

- Doughty, charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan cape, London 1927.
- Hitti philip, History of Syria, Macmellan & co L T D, London, 1935.
- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.

- نولدكه، ثيودور، أمراء غسان، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣.

- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1977.